

الخطاب الوعظي في شعر أبي زيد الفازاري (ت ٦٢٧هـ)

م. د. نزار شكور شاكر
جامعة السليمانية
فاكلي التربية الرياضية والتربية الأساسية
سكول التربية الأساسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
المقدمة

لا ريب في أن من يتتبع الغرض الوعظي في شعر أبي زيد الفازاري، يجد هاجساً ينتاب الشاعر يفضي كما هو معهود الى مقصد معين يستشف من النزوع الذاتي الى التعبير على وفق آليات مقننة.

و يبدو انه من غير الوقوف على طبيعة هذا الخطاب في العملية الأدبية، لن نرشد الى النقطة الجوهرية التي انبثق عنها هذا الهاجس بشكله الشعري، وهذا ما يؤدي بنا الى الفضول في معرفة كنه هذه الطبيعة التكوينية، وهل كانت في ذاتها مجرد غاية تتمثل في توافر منتج في شكل شعري فحسب، أم انها كانت وسيلة لخلق الوعي الإنساني المطلوب من دون الاكتراث لسمة الشكل الفني؟ أم كانت تجربة شمولية طمحت الى الإفادة من التوحد في العلاقة القائمة بين الغاية والوسيلة معاً، وذلك بالعمل على اخراج صيغة البلاغ شعرياً؟

وهذه الأسئلة بحاجة الى إجابة واضحة ومحددة بعد أن أثيرت، وتشكل في نظرنا مشكلة البحث الحالي، ولعل خير ما يعيننا على التوصل السليم الى بيان مطالبها بخطوات بحثية الرجوع الى النصوص الشعرية المتوافرة في هذا الميدان، والإحتكام اليها موضوعياً، وذلك بتقييدها بدراسة (وصفية - تحليلية) تبوّب منهجياً، تضم محاور: العرض، والتعليق والمناقشة - حين اللزوم - لكل من المضمون الذي قام عليه الخطاب الشعري، فضلاً عن شكله الفني. ومن الله التوفيق.

التمهيد

سبق وأن تطرقت في دراسة سابقة* الى اسم أبي زيد الفازازي ونشأته، وحاله، وورعه وشيوخه، وتلاميذه، فضلاً عن العصر الذي عاش فيه من الوجهة العلمية، ولذلك لم أحبذ أن أكرر في هذه الدراسة هذه الأمور إلا بالقدر الذي أجد فيه منفعة من وراء الذكر للقارئ الكريم ولاسيما إذا كان الايضاح على ارتباط وثيق بموضوع البحث الحالي.

ويبدو من قيس سيرة الفازازي انه كان موصوفاً بالمعرفة بأصول الدين، قال تلميذه الرعيني (ت ٦٦٦هـ): "هذا شخص لم ألق مثله في دينه وفضله ومشاركته في العلوم الشرعية واستظهاره فيها بالمنة القوية" (١)، وفي معرفته بالفقه وعلم الكلام وأصولهما كذلك، قال التنبكتي (ت ٩٦٣هـ): "كان... مشاركاً في أصول الفقه، ذا معرفة بأصول الكلام ناظراً في الفقه" (٢) وفي معرض الإشارة الى إتجاهه السلفي وردنا أنه "كان (رضي الله عنه) شديد الإتياع للسنة والمنافرة لأصحاب البدع نزيه المهمة، مؤثراً للنوع... (٣)، وانه "مال لصحبة المريدين والسعي في مطلبهم والتشدد على أهل البدع" (٤)، وضمن هذا المحور جاء أيضاً انه كان "مصمماً في دينه ويغض أهل العلوم القديمة. حدثني عنه الأستاذ الجليل العارف المحقق النحوي أبو الحسن ابن عصفور انه كان لا يصاحب أحداً ولا يؤاخيه إلا بعد البحث، هل نظر في العلوم القديمة أم لا؟ فإن كان قد نظر فيها، لم يصاحبه، وكان ممقوتاً عنده. وحدثني انه قال له ذلك مشافهة" (٥)، ومن جانب آخر فقد تضاربت الآراء حول معرفة الفازازي بعلم الحديث النبوي الشريف الذي قال فيه: (٦)

علم الحديث لكل علم حجة
فأشدُّ يدك به على التعيين
وتوخَّ أعدل طرقه وأعمل بها
تعمل بعلم بصيرة ويقين

إذ فيما أورد التنبكتي (ت ٩٦٣هـ) انه "ليس له بصر بالحديث" (٧)، قال فيه المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ) على وفق أسلوب السجع: "وله سماع في الحديث ورواية، وفهم بقوانينه ودراية" (٨)، والأرجح لدينا هي رواية المقرئ، ولاسيما وقد قال تلميذه الرعيني من قبل في أستاذه "وله نظر جيد في الأصولين وفي الفقه". (٩)

وعلى ذي صلة بالبحث الحالي، نجد ضمن قائمة مؤلفاته ما يشير الى طبيعة المنهاج الأدبي الموافق لطبيعة العصر الموحد، والذي ظهر في ضوء:

- ١- أشعاره ومعشراته وقصائده في النصائح الدينية والحكم الزهدية السائرة. (١٠)
- ٢- خطبه وأشعاره الوعظية، ولاسيما ما كتبها لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن الحجّام الواعظ اللخمي المكناسي الأصل (٥٥٨-٦١٤هـ)، الذي "كان حسن الموعظة... وكان وعظه بجوامع القصر أيام الجمع" (١١)، قال أبو يزيد: "كنت بحضرة مراكش وأصنع مجالس وعظ في أنواع يقوم بها على رؤوس الناس الواعظ أبو عبد الله، يعني هذا في يوم الإثنين والخميس من كل أسبوع، وكان يأتي منزلي فأكتبها له، وكان يرغب إلي أن أرفع صوتي عند الكتابة لأسمعه فما رأيت أسرع حفظاً منه، ما أكاد أكملها مع ما فيها من القصائد إلا وقد حفظها" (١٢) وقوله في طبيعة المواعظ: "مع ما فيها من القصائد" يشير الى طابعها الأدبي شعراً ونثراً واليه نبه أحد الباحثين والمحققين قائلاً: "وهي تختلف فيما بين أيدينا من مجالس الجمعة في أن هذه شعر خالص وأملياته لابن الحجّام تجمع النثر والشعر" (١٣)، وهذه الأشعار المكتوبة (في مجالس الجمعة) يبدو انها قليلة قياساً الى الأدب الوعظي المكتوب لابن الحجّام في مجالس (الإثنين والجمعة)، فقد جاء ان "لابن الحجّام كتاب حفييل سماه (حجة الحافظين ومحجة الواعظين) معظم ما أورده فيه من كلام أبي زيد الفازازي، وأضاف اليه يسيراً من كلام غيره، واختصر هذا الكتاب لزيمة أبو زكرياء بن محمد بن طفيل وسماه (أنوار مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار) وقد وقفت على هذا المختصر في مجلدين ضخمين بخط منتخبه". (١٤)
- ٣- الطرر التي رد بها على المكلاتي (١٥)، والتي قال فيها الأستاذ عبد الحميد الهرامة بعد أن أفاد من قول التنبكتي آنف الذكر من جانب: و"لم يذكر الرعيني الذي اشار الى هذا الرد طبيعته غير أن المكلاتي من المهرة في علم الكلام وأصول الفقه والفازازي مشارك فيهما، فيحتمل أن تكون المعارضة في أحدهما". (١٦)

الدراسة

بحسب المتوافر من النصوص الشعرية في غرض الوعظ لدى الفازازي، وفي ضوء قرأتنا لها ارتأينا أن تقوم الدراسة الحالية على وفق المطلبين الآتيين المبيينين في أدناه، فهما الأقرب في نظرنا للوصول بنا الى النتائج المرجوة باطمئنان من جانب البعد الموضوعي - الفكري للغرض القائم ضمن نطاق بحثنا ، ومضمونه الفني:

١- عناصر الخطاب.

٢- السمات الفنية.

المطلب الأول: عناصر الخطاب

لاشك فيأن لكل مقصد دلالي عناصر تسمه بطابع معين بعد أن يتبلور منطقياً على وفقها ضمن العمليات السياقية، والملاحظ أنه في نطاق الأدبولاسيما الإسلامي تبرز رسالة الوعظ والإرشاد ثمة محمولات إيمانية الى المتلقي، لعل من أبرزها تلك التي تستمد دلالاتها وتتوجه- بعد أن تطوع لها القصد- من معين غني مقدّس، من نحو الأديان السماوية المنزلة، فضلاً عن تلك الأخلاقيات المنشودة المترجمة فكرياً واجتماعياً عبر الأجيال والحقب التي أصبحت لا تنفك عن إطار السلوك العقائدي- في ضوء الوشائج الملموسة- ولكن في شكل آخر من الترسيع ضمن إطار بث (الفضائل والمثل العليا)، وعليه سيقوم هذا المطلب مستنداً على فقرتين بحثيتين رئيسيتين هما:

* الاداء الوظيفي في العنصر المستمد (المضمون الديني).

* الاداء الوظيفي في العنصر الموجه (المضمون النفسي).

الفقرة الأولى:

تقتضي النقطة الجوهرية هنا قبل كل شيء استيعاب صاحب الخطاب ما هو بصدده الدعوة إليه استيعاباً جيداً، وفي الحقيقة فقد أدرك أغلب الوعّاظ جيداً أهمية هذا الجانب فيما صدر عنهم من نتاج أدبي، نظراً لما له من إسهام في سياق رسالة العظة الفاعلة التي هي لا شك أمل كل داعية، بما تكتسبه الأخيرة من مزية روحية في النفوس المتلقية، من غير أن ترتبط

الإجادة في كل مرة في هذا النوع الجديد من الغرض بالناحية الفنية بحسب المقاييس النقدية، إذ"الملاحظة التي وقف عندها النقد العربي وأصر في كل حالة على موقفه، هي أنّ الفن القولبي لا يمكن أن يعيش في كنف الدين والأخلاق، وكأن الأهداف الدينية والأخلاقية لا تأتلف وطبيعته وكأن استهداف أوجه الخير يضعفه". (١٧)

وعلى وجه العموم لم يكن الطابع الديني المهيمن على النزعة الوعظية لدى الشعراء غائباً عن شاعرنا بل كانت له بؤر وتجليات شتى تفضي- جريا على العادة، ولكن بوعي تام - الى فكرة إطلاق الوعد بالفوز والنجاة الأبدي الدينية الجذور، ولا سيما في إطار الدعوة إلى الطاعة الربانية بالإنقياد الى سبل التقوى وترك ما سواها، قال الفازازي في مستهل أحد قصائده: (١٨)

أطع مولاك تظفر بالنجاح وراقبه تحز قصب الفلاح
ودع طرق الخلاف وعد عنها إلى طرق من التقوى فساح

وتأتي هذه النصيحة في ظلما تقوم عليه من أساس يفضي الى المنهاج المنتخب، والتمسك به وتعظيمه، وعلى وجه الخصوص بالرجوع الى الأصل باتباع المنهاج القرآني: (١٩)

مَفَارِثُكَ الْقُرْآنُ فَالزَّمْ بَوْرِدِهِ مَعَانِيَهُ نُعْمَى خَائِضِيهِ وَوُرْدِهِ

وكانت هذه الدعوة لاتنسى إطرأ ما توجه اليه لأكثر من هدف، فعلى وتيرة الإشادة بالكتاب الحكيم، جاءت النصوص التي تشير الى وجوب العلم به والعمل، إذ آيات القرآن يحدث الشفاء القلبي المقصود، فهو الضياء المنير له. (٢٠)

وضمن هذا الإتجاه، يعدّ الرجوع الى دلائل النبوة بالتحدث عنها كذلك شفاءً للعقول من كل داء يستهدف العقيدة (٢١)، نظراً لما تقدمه لها من أدلة دامغة، ولذلك ورد السياق في التحدث بها في ظلال السعي الدؤوب إلى نشر القيم البناءة في المجتمع عن طريق الدعاة الى الوقوف بوجه ما عداها من تيارات فكرية معادية، والذي كان الفازازي أحدهم، كما سبق أن اشارت الى ذلك بعض المصادر القديمة، والمؤكد بقول أحد الباحثين المحدثين ف"في إطار السعي الدائب لمحاربة كل دعوة هدامة بقصد إفساد القيم الخلقية في المجتمع الأندلسي،

الخطاب الوعظي في شعر أبي زيد الفازاري (ت ٦٢٧هـ)

م. د. نزار شكور شاكر

فقد تصدى الزهاد لبعض ممن وصفوا بالبعد عن الدين من الزنادقة والفلاسفة الذين سلكوا سبيل التقية، وكان الزاهد ابن جبير وابن قسوم وأبو زيد الفازاري من أكثر الزهاد تعرضاً وذماً لتلك الطائفة" (٢٢) يأتي هذا الموقف بعد أن أدركوا حجم المخاطر المحدقة بالأمة من جراء ضرر هذه الطائفة الملموس في الدين خاصة، قال ابن خلدون في الفصل الرابع والعشرين (في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها):"هذا الفصل وما بعده مهم، لأن هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها في الدين كثير فوجب أن يصدع بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها". (٢٣)

ومن يتبع هذا الصنف من التحرك الدفاعي -إن صح التعبير- في شعر الفازاري يجد أن له شقاً ثانياً غنياً- كما يبدو للعيان- إذ تظهر جلياً في هذا الأفضمن ميدانالنبيات ثمة إشارات إلى دوال إسناد معرفية لهذا المحور، بعد أن سخرها الفازاري كما يبدو على أكثر من مستوى لبث مقصده الدال على الصلاح بوسيلة إصلاحية، ففيها تم بدءاً تأكيد ما هو مألوف من مبدأ التوحيد فيعدم الشك بما جاء به الرُّسل الهداة من عند ربهم، ولا سيما خاتمهم (صلى الله عليه وسلم) (٢٤)، والتسليم له بالأدلة العقلية الواردة في حقهم جميعاً (عليهم السلام)، كما جاء في قوله: (٢٥)

حجج الرسل التي قد سلفت أصبحت في أحمد مجتمعه

فاعتقد صحتها واعمل بها فدعاوى ضدها منقطعه

ممكّنات العقل لا يجحدها غير أهل الطبع والمبتدعه

وفي هذه الحقيقة قال بعد أن بيّن أن مصدر الهداية للبشر جاء من الإصطفاء الالهي للانبيا فهو يمد في سياقه التعبيري الجسورين المقتربات الدلالية، بالرجوع الى العقائد في هذا المجال: (٢٦)

أنبياء الله أنوار الهدى من رأى نورهم نال هداه

كيف لا يهدي نبيّ أمةً لصفاء الورد والله اصطفاه

وفي سياق تعضيد هذه الرؤية الدينية المحضة، التي تتعد بالمرء عن الضلالة المنبوذة لدى المخاطب تكشف أيضاً لنا بعض النصوص عن آليات ترسيخها خطابياً، في هذا النطاق الجدلي بعد أن ذكر الفازازي مسترجعاً جملة من لوازم التأدب في ذكر حضرة المصطفى من نحو: التزام الصمت وعض البصر، وترديد أحاديثه الشريفة، والصلاة والسلام عليه، قال محذراً من مغبة أن تحيد الأقدام عن سبيل البرهان النبوي، مصدر الرشد للخلق: (٢٧)

ولا تسترب في براهينه فتسلك مسلك قوم آخر
فكم آية ظهرت للنبي وكم أثر عنده قد ظهر
ومن شك في نور برهانه على أن برهانه قد ظهر
فكبر على عقله أربعاً وقل فوق طورك هذا الخبر

ومن منطلق العودة مجدداً الى الأصل القرآني، بالنقل عنه، أبدى توظيف الاقتباس المأثور منه في بعض حالاته نسقاً تقريرياً لا يعدو عن التهديد والوعيد المعطوف ببساطة على الشرط الجازم الذي هو من مقتضيات السياق التعبيري الهادف إلى الإيمان في هذا الموضع، كما هو في البيت أدناه: (٢٨)

إِذَا قَالَ فَاَسْمَعْ مِنْ فُؤَادِكَ قَوْلَهُ وَيَا بُؤْسَ مَنْ قَدْ شَكَ فِيهِ وَيُؤَلِّهُ

ومما يعمل على شد عرى هذه الدعوة الصادرة توافر محطات الإسناد لها، إذ لم تهمل الإشارة أيضاً الى النقل عن آثار سيد المرسلين، والرحمة المهداة للعالمين: (٢٩)، والتمسك بهدي سنته الشريفة (ص): (٣٠)

أَلَا فَتَمَسَّكَ مِنْ هُدَاهُ بِسُنَّتِهِ هِيَ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ أَعْظَمُ مَنَّةٍ
أَتَانَا بِهَا نُورًا لِكُلِّ دُجْنَةٍ مُطَاعٌ مِنَ الْجَنْسَيْنِ إِنْسٍ وَجِنَّةٍ

ولهذا التعلق معطيات عقائدية - روحية، ففي إطار التوكيد على (مبدأ التمسك) غالباً ما يكون الهدي النبوي هو حبل الخلاص بوصفه وسيلة نجاة لمن أراد أن يظفر به، ضمن سياق ارتباط السبب بالنتيجة ارتباطاً مباشراً يخلو من الفنية: (٣١)

الخطاب الوعظي في شعر أبي زيد الفاززي (ت ٦٢٧هـ)

م. د. نزار شكور شاكر

أمسك بحبل محمد خير الورى تظفرُ بقصدك أيها المستمسك

ولهذه الدعوة أسلوب تعبيرى آخر، إذ تشير بعض النصوص المستقرأة في هذا المجال الى جملة دوال يسند بعضها بعضاً، فمنها ماجاء مقترناً بالترهيب والترغيب بالدليل المنقول عن الأصلين: (٣٢)

هُدَاهُ فَلَا يَدْخُلُكَ شَكٌّ هُوَ الْهُدَى فَشُدَّ عَلَيْهِ الْقَلْبُ وَيُحَكَّ وَالْيَدَا
يُخَلِّصُكَ مِنْهُ هَاهُنَا وَكَذَا غَدَا مَلِيَّةٌ بِإِنْقَاذِ الْعِبَادِ مِنَ الرَّدَى

وإذا كان المنحى التوصيلي ضمن هذه الوحدة الإرشادية يطمح الى تشذيب الفكر وتنقيفه بطرح الشك جانباً، فبالوسع أن نراه وهو يمهّد الى صورة تالية تابعة لما تقدم، كما جاء ذلك في التخميس الآتي من ديوان الوسائل المتقبلة: (٣٣)

تَوَجَّهَ بِهِ لِلَّهِ فِي كُلِّ أَرْزَمَةٍ تَوَجَّهَ صِدْقٍ تُكْفَى كُلُّ مُهْمَةٍ
مِنَ الدُّنْيَا وَالدُّنْيَا وَلَوْ بَعْدَ أَمَّةٍ هَلِ الْفَوْزُ كُلُّ الْفَوْزِ إِلَّا لِأُمَّةٍ
بِأَحْمَدٍ فِي آمَالِهَا تَتَوَجَّهُ

فهناك- بحسب ما يبدو- اشتراط زمني قائم في لزوم الطاعة الدنيوية والإنقياد المستमित للهدي النبوي، نظراً لاقترانه الوثيق كما قلنا بعقيدة النجاة في يوم الحساب الموعود، وما ينبغي أن يعد له المرء حياله. (٣٤)

ولهذه الطاعة فائدة مزدوجة دينية ودنيوية أيضاً، بقوله في هذا الشأن في فضل التابعين وعلو منزلتهم على من سواهم: (٣٥)

أَطَاعُوهُ فَاسْتَحْزَى لَهُمْ كُلَّ سَيِّدٍ وَفَازُوا بِفَخْرٍ خَالِدٍ مُتَأَبَّدٍ
فَهُمْ قَادَةُ الدُّنْيَا وَهُمْ لِلتَّعْبِدِ لِأَنَّهُمْ فَازُوا بِبِعْنَةِ أَحْمَدِ

ولاغرابة بعد هذا كله أن ترف التهاني في هذا الإطار، للذين نالوا هذا الشرف الرفيع والخالد بالإتباع. (٣٦)

وفي صور إقتران الوعظ ببعض الأغراض الشعرية الدينية المتألفة معه- كما سيأتي تفصيله لاحقاً-، كشف هذا المنطلق من الدعوة في الغرض الوعظي عن مبررات أفرزها اقترانه بغرض المدح النبوي في جوانب تعبيرية كما مر معنا من قبل، من أشهرها: كرم أصل الهادي، ونقاء سيرته، (...) التي تعد من العوامل المساعدة والمحفزة على مبايعته، بوصفها القصدية القائمة المطلوبة في الوظيفة السياقية: (٣٧)

هُدَاهُ فَلَا تُغَلَّبُ عَلَيْهِ هُوَ الْهُدَى وَأَلْقَى إِلَيْهِ ظَهَرَ عَقْدِكَ مُسْتَنَدًا

وبابغ كريماً طاب أصلاً ومولداً فشبَّ شباب الرّوضِ أخضله النّدى

وهذا يعني أن الوعظ كان يلامس غرض المدح النبوي للإفادة منه بصراحة، ولا نجد أن هنالك ثمة عائق يذكر يحول دون تطرق الوعظ الى غرض المدح الديني، على نحو ما نجده قائماً بين بعض الأغراض، وفقاً لاختلاف طبيعتها، وعلى العموم فيبدو أنّ هذا الطابع من الفطرة الشخصية السليمة الثابتة عن النبي (ص)، قد يفسر لنا دعوة الفازازي في أدناه الى الحض على إعادة مدحه مدحاً معتدلاً لا غلو فيه، والإقرار بذلك: (٣٨)

ألا فاعِدْ ذِكْرَ النَّبِيِّ وَجَدِّدْ وَفِي مَدْحِهِ فاعِدِلْ وَقارِبْ وَسَدِّدْ

ولا تَغْلُ في شَيْءٍ مِنَ الْقَوْلِ واقْصِدِ زَنَ الْقَوْلِ إنْ حاوَلْتَ مَدْحَ مُحَمَّدٍ

ومن مستلزمات سبيل (إعادة) هذا التثبيت اللازم و المؤكد على الدوام أيضاً كما يتبين ضمن حيّز الموقف الدفاعي، التعنيف على المناوئين لما جاء به النبي من عنده، وذلك في إطار بيان ذلك في موقفين إثنيين موقف العزة للاتباع، بازاء موقف الذلة لسواهم من العصاة الجهلة: (٣٩)

فويلٌ لأَجْلافٍ عَصَوْهُ بِجَهْلِهِمْ وَقَدْ كانَ أرْعَى النَّاسِ فِيهِمْ لِإِلْهِمْ

فَحَزَنًا بِهِ عَزًّا وِباؤًا بَدْلَهُمْ زَهَيْنًا بِهِ فَخْرًا عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ

الخطاب الوعظي في شعر أبي زيد الفازازي (ت ٦٢٧هـ)

م. د. نزار شكور شاكر

وكثيراً ما رددت النصوص الواردة من هذا الحقل، ما مفاده: أن الخيبة والخسران هي حليف من عادا الرسول الكريم (ص)، وان أمر إحقاق الحق حينما تطلب القوة، تم اللجوء اليه، كما هو ثابت بالنصوص الصحيحة. (٤٠)

وأغلب الظن أن هذا الموقف المتشدد المتخذ ليس بغريب عما هو معروف عن الفازازي من ذمّه للإلحاد والفلسفة في شعره (٤١)، وكل ما يقع على مفترق الطريق مع توجهه الموحّد المتقدم المستمد من علم الكلام الذي "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب أهل السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية التوحيد". (٤٢)

وضرورة التزام التعاليم الدينية ضمن هذا التيار الدعوي يمثل عماداً للسلوك الإبتاعي القويم الذي جاء به التشريع من الدين الحنيف، والذي أخذ ببساطة لدى الشعراء الملتزمين دينياً أبعاداً الأبرز منها كان زمانياً من نحو تعظيم شهر الصيام لدى المسلمين باغتنام أيامه ولياليه بالعبادة الحقة، إنطلاقاً من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في فرض الصيام، وفضله (٤٣)، ولا مجال هنا سوى القول إن السنة الشريفة تفي أيضاً بهذا الغرض من الإرتباط المتكامل جسدياً وروحياً بالزمن، بما جاء فيها من مناسبات للصيام، ولا سيما المؤكدة منها بالتواتركما جاء في قول الفازازي في يوم عاشوراء بعد أن وجد فيه فرصة سانحة للتقرب المرجو إلى الله: (٤٤)

ولعاشوراء مرتبةً شُهرت في سالف الزّمن
هو يومٌ لم يزلُ أبداً صومه من أكد السنن
فاغتتم إن كنت متجراً خلّساً من راحة المحن

ولا يخفى أن في الذكر الحكيم المنزل إشارات الى فريضة دينية أخرى هي أيضاً كالصيام ركن من أركان الإسلام نلمح وجودها ضمن هذا الصعيد، إذ جاءت بعض النصوص الشعرية في ضوء الحض على الحج والزيارة، من منطلق التعظيم لشعائر الله. (٤٥)

ومن الطبيعي أن يفضي حلول مواسم العبادات في الإسلام إلى شيء من توظيفها للّهج كما هو معروف بالوصايا التي تشيد بمنزلتها وما ينبغي أن يقوم به المتعبد فيها من عبادات

وطاعات أتت الأحاديث فيها والأخبار عن الرسول، مع الحرص على ذلك كل الحرص، منها
قدوم شهر شعبان الفضيل. (٤٦)

وما يصادفنا هنا ان توظيف القدوم الزمني، ورحيله عنا، لم يكن إلا مصدراً قاد إلى
إبداء التساؤل الآتي على نحو تقريبي: (٤٧)

مضى رجب فانظر أوقيت حقه وأكرمه أم كنت عن ذلك تغفل ؟
ووافق شعبان فهل أنت عالم بمقداره أم باب قلبك مقفل ؟

وحينما نقف عند نقطة أخرى على هذا الخط، نجد أن السنة الشريفة قد جاءت
بالأحاديث التي تبين فضل قيام الليل، فهو ديدن المتقين المحتسبين، ولاشك في أن المواعظ
لاتخلو من الإلمام بهذا الشأن، كما هو الحال لدى شاعرنا، إذ فيه جملة من العضات تفيد
الإستنهاض الجسدي والروحي معاً للإنسان: (٤٨)

وقم إذا صبغت في الليل دهمته وأسرجت في دجاء الأنجم الزهر
فاندب ذنوبك واستوهب إقالتها فالعفو عند اعتراف العبد ينتظر
فأرسل الدمع عن خوف وعن ندم يمح الخلاف الذي ما زال يستطر
وارجع إلى الله واقرع باب رحمته واصبر فذو الصبر مضمون له الظفر
واجعل نعيمك في القرآن تقرأه فخير ما يقرأ الآيات والسور

وكما يبدو فإن محو الذنوب وإقالتها مرتبط بمبدأ الإنابة الى الله عز وجل، بالتمسك
الأزلي بمنهاجه الذي يشير الى عفو الرب وصفحه عن المذنبين الآيين من عباده.

وتسود في أفق أخلاقيات الأديان السماوية بعض المفاهيم والقيم الإيمانية منها:
التوكل على الله، والصبر في سبيله كما تقدم ذكره، فضلاً عن بر الوالدين الذي لا يتعد عن هذا
الميدان من التوظيفات للأصول المعرفية الأخلاقية المقدسة، من نحو قول الفارابي معاتباً المرء
العاق لوالديه، محذراً إياه من مغبة الوقوع في هذا الإثم: (٤٩)

الخطاب الوعظي في شعر أبي زيد الفاززي (ت ٦٢٧هـ)

م. د. نزار شكور شاكر

تقرّبت إلّا في رضى الأم والأب وبرّهما في الدّين أصل التقرب
وقدّمت أسباب العقوق وإنها لمثمرة في الحشر شرّ مسبب
رضى الله يُروى أنّه في رضاها فأرضهما تظفرُ به أو فجنب
وقد جاء في التّأفيف ما فيه عبرة تدلُّ على ما فوقها فتأدّب

وأخيراً ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بوصفه أحد الفقرات الإرشادية أيضاً، نجد أنّ للفاززي قصائد ومقطعات في ذم الخمر وشاربه، وبيان مضاره الدينية والدنوية، وأن الخير في العدول عنه (٥٠)، قائلاً في أحدها موجهاً القول إلى المدمن عليها في ضرورة الإقلاع عن هذا الفعل المشين، بحسب ما يترتب عليه من مصائب، والمتزامن مع مخالفته بالإجماع الشرع الحكيم: (٥١)

يا مُدْمِنَ الخمرِ غَيْرَ آلٍ في تركه أمر ذي الجلال
أبشُرُ بفقرٍ وهتكِ سترٍ وقبح ذكرٍ وسوء حال
ومورد في المعاد تفضي منه الى طينة الخيال
فراجع الحقّ لاتعللُ نفسك في الفوز بالمحال
واصرع الى الله واستقله فإنه خير مستقل

وبعد أن وقفنا على أبرز جوانب آلية قيام الخطاب الديني عقائدياً، سنقف كذلك في الفقرة الثانية من المطلب البحثي الأول على أبرز جوانب آلية قيام الخطاب النفسي، الذي يعد في نظرنا مكملاً عضوياً لوحدة الخطاب الوعظي في شعر الفاززي.

الفقرة الثانية:

وتهدف إلى الكشف عن أثر القيم الأدبية التي تنتظم ضمن هذا الحيز الذاتي، والتي تعمل على توجيه النفس الى جادة الصواب، بعد أن ترصد استطلاعاتها العناصر المسيئة اليها، ومن هذا المنطلق من التوعية الملموسة سيتم اللجوء الى تشخيص ركيزتين بارزتين في المحمولات الدلالية الواردة من هذا النطاق، والتي ترتبط تحديداً بأثر المفاهيم والقيم الأخلاقية في إحداث التغيير الإيجابي المطلوب في المجتمع وصولاً بها الى تسليط الضوء على

هياة تكوين بنية الخطاب في هذا الجانب الحسي - الأديبي (بمعناه الخلقى)، ولا سيما بعد التحقق من حصول "أثر الوعي والقيم والمفاهيم والدلالات في تشكيل الخطاب الأديبي" (٥٢)، والركيزتان اللتان تقومان على أساس منطلق الدعوة الإصلاحية هما:

١- تعيين آفات النفس البشرية.

٢- تحديد سبل الحصانة منها.

الركيزة الأولى:

ويلاحظ أن فيها تحشداً للنصوص الوعظية بالدلائل وغيرها، وكأن الشاعر أراد أن يسجل له حضوراً على أكثر من صعيد توجيهي، وعلى وجه العموم فمن البديهي أن تخيم النزعة التوجيهية على باقية القيم الملتفة حول هذه الأساس المعرفي، بوصفها وسائل المجابهة في عملية خطاب النفس من أجل إبعادها بشتى السبل عن حيز الخطر المُحدق بها، وذلك بعد أن تستمد ايجابياً قوتها التأثيرية من السلبية التي هي ميزة الصفات التي لايجذب على الإطلاق الهدف التثقيفي في الخطاب الوعظي توافرها في النفس التي هي المحور الرئيس في تلقي مضمون الخطاب ورسالته الإجتماعية، وهذا ما يدخل في وجه من الوجوه في إطار إدراك المصلحين/ الناصحين أهمية النصح الاجتماعي ببعد نظر يسمو بالانسان "لأن الناصحين كانوا يفكرون أولاً وقبل كل شيء في المعاني الخلقية وكانت النصائح لا تصدر إلا عن أناس عرفوا بالحكمة وأصالة الرأي، وكانت لاتوجه إلا الى أناس يراد توجيههم الى صالح الأعمال". (٥٣)

وقبل الشروع ببيان الأفات التي تعترى النفس كما بينتها الدلائل الشعرية الواردة من هذا الحقل هنالك على ما يبدو خطوط عريضة جاءت من تيار التحذير في إطار الغرض التعليمي وذلك بتصوير ما ستؤول اليه من وصف غير لائق بها على وجه العموم، كان مصدرا لدمها في كثير من الأحيان. (٥٤)

وكثيراً ما سعت هذه الرؤيا الى إفادة التأكيد على نقاط وصفها الخطاب الوعظي بالضعيفة والمشينة للمرء كجزء من عمله عليها في إطار زهدي يتخندق حول ذم الدنيا بمغرياتهماكافة ومن أبرزها حب المال وايثار الشح، هذه الصفة المذمومة في قول الفاززي: (٥٥)

يَسَارُ الْفَتَى بِالشُّحِّ لِلْحَيْنِ جَالِبٌ يَسِيرُ لِمَوْتٍ وَهُوَ بِالْمَالِ آلِبٌ

ويكشف ما ترتب على ذم إتباع (الهوى)، عن مواقف تعبيرية كانت تحاول الإحاطة بهذا المضمون (٥٦)، ففي مجال الدوافع الى الاغترار الدنيوي بالوسع أن نلاحظ الإشارة الى أن العيب الممقوت في جملة من الشواهد النصية المتوافرة (٥٧)، ترجع ببساطة الى الطبيعة الدنيوية القائمة على التزيين الخارجي فحسب، من نحو القول من أسلوب القسم المؤكد:

(٥٨)

يَمِيناً لَقَدْ غَرَّتْكَ دُنْيَا لِأَنَّهَا يَلَامِعُ قَاعٍ لَا تَصَدِّقُ ظَنِّهَا
يَسَارُئُهَا لِلغَرِّ يورثُ صَنِّهَا يَمِينِكَ خَانَتْ عَهْدَهَا فَكَأَنَّهَا
مَدَى الدَّهْرِ لَا أَمْرٌ عَلَيْهَا وَلَا نَهْيٌ

وفي سياق متصل ولكن من جانب تفعيل المحور الزمني في الأسلوب الوعظي القائم لدى الفازاري، بالوسع أن نلاحظ أن الأخير عمد مسرعاً الى توظيف جو(التذكرة النافعة) في سياق العظة المعروضة بأزاء الغفلة في ظل رفع راية الزوال، ولهذا نجد أن البيان القولي يؤكد باستمرار ان اغترار النفس بالشباب غير مجد على الإطلاق، فسرعان ما تنقضي هذه المرحلة ويحل المشيب، والويل لمن يحصد من حياته سوى الذنوب والآثام (٥٩)، ولذلك نجد على هذا المستوى البياني ان بعض دوال الزوال قد تستثمر في قالب يوفر شحنات من الطاقة للمضي قدماً في الغرض التعليمي الفاعل، ولاسيما وأن همّه هو صرف النفس عن الغفلة والدعوة الى اليقظة باستمرار، ونجد ان ذلك تم عبر مراحل متسلسلة منطقياً: الموت ثم القبر ثم خاتمة المطاف بالمصير الموعود، وبذلك بالوسع أن نلمح التقارب بين مفهوم الحتمية في الزوال وبين الوعد الحق في مآل النفس: (٦٠)

سَرِيحُ زَوَالِ النَّاسِ عَنْهُ تَحُلُّهُمْ سَرَايَا دَوَاهِيهَا بِمَوْتٍ يَسُلُّهُمْ
سَلِيبٌ لَدَيْهِ كَثْرُ نَاسٍ وَقَلُّهُمْ سَلِ الدَّارِ أَيْنَ السَّاكِنُونَ فَكُلُّهُمْ
صَرِيحُ هَوَاهَا وَهِيَ بِالغَيْرِ مُعْرِسُ

ولذلك كان لزاماً على النفس أن ترعوي بالتأدب، وهذا ما يقع تحت شمولية عنوان:

سبل الحصانة (الركيزة الثانية)، ولاسيما القائمة على أساس العقل الراجح: (٦١)

إذا لم يكن عقلي عن الغي زاجراً فماذا الذي تجدي عليّ المعارف
تصرفه نفسي كما لا أحبه وليس لها من حجة العقل صارف

الخطاب الوعظي في شعر أبي زيد الفازازي (ت ٦٢٧هـ)

م. د. نزار شكور شاكر

وكثيراً ما جاء النداء في هذا الجانب حاملاً في طياته ضرورة اتباع سلوك المشابرة والمران في تركية الطبع، مع ضرورة تحكيم العقل، والذي قال فيه الماوردي (ت ٤٥٠هـ): "إعلم ان النفس مجبولة على شيم مهملة وأخلاق مرسله، لا يستغني محمودها عن التأديب، ولا يكتفى بالمرضي منها عن التهذيب... وكل ذلك لا ينال بتوقيف العقل، ولا بالإنقياد للطبع، حتى يكتب بالتجربة والمعاناة، ويستفاد بالدربة والمعطاة ثم يكون العقل عليه قيماً، وزكي الطبع إليه مسلماً". (٦٢)، ولعل هذا الرأي يكون هو الأقوم في تفسير طبيعة التعامل المقصودة من السبيل المستتير الذي يفهم سر الطبيعة البشرية، ويدري انها ضعيفة بطبيعتها" كما قال العلامة د. الوردى (٦٣)، مصححاً على ما يبدو بحسم ما ذهب إليه "ان الطبيعة البشرية لها نوااميسها التي لا يمكن تخطيها ومن خالف في وعظه تلك النوااميس كان كمن يحرض الناس على العصيان". (٦٤)

وكان من البديهي أن يلجأ أصحاب الخطاب الى تحديد المداخل الى هذا المضمار الدقيق والمتشعب، مما يجدي بالنفع ضمن هذا السياق التوصيلي، من نحو الإشتغال على آليات جهاد النفس بترويضها في ساحات الصلاح والتقوى قبل حلول مصيبة الموت (٦٥)، بما يعود على حالها بالخير كله: (٦٦)

وَنَفْسِكَ أَلْزَمَهَا تَقَاهَا وَرُهِدَهَا وَإِحْسَانَهَا لِلخَلْقِ طَرًّا وَسَهْدَهَا
وَذَلِكَ يُعْطِيهَا الْجَنَانَ وَسَهْدَهَا وَوَاللَّهِ لَوْ أَصْلَحْتَ نَفْسَكَ جُهْدَهَا
لَقَصَّرْتَ إِلَّا أَنْ يَدَارِكَكَ الْعَفْوُ

ولذلك لم يكن غريباً أو مستبعداً، بل كان من الطبيعي أن يكتب الشقاء - من أثر الشر - على كل من ترك العنان لنفسه للوقوع في مستنقع الخطيئة والرذيلة، الذي ينجو منها أو لو العزم في كل مرة، كما يصوره الدعاة الى الفضيلة، ومنهم الفازازي بقوله: (٦٧)

شَقَاءٌ تَبَاغَ النَّفْسِ فِي سَحَوَاتِهَا شَهِيٌّ تَمَادِيهَا عَلَى لَهَوَاتِهَا
شَرِيرٌ تُؤَدِّيهِ إِلَى مَهَوَاتِهَا شَدِيدٌ فِطَامُ النَّفْسِ عَنْ شَهَوَاتِهَا

ومن الجدير بالذكر ان الإشارة الى ضرورة صيانة النفس، برعايتها وصرفها عن غير المفيد لها جملة وتفصيلاً، بل وزجره احياناً (٦٨)، ينبع من الإيمان ان لها علينا حقاً يجب أن يراعى بقطاعات المجاهدة المحسوبة على مفهوم كبير هو (الزهد الأخلاقي) الذي يفترض به أن يكون منضبطاً عقلياً حد الإمكان، وإلا فإنه سيؤدي بمتنبهه (السطحي) الى عواقب وخيمة، إذ "ينبغي في الزهد الأخلاقي ألا يتجاوز الحد المعقول، وإلا تحول الى تعذيب للذات، بل يمارس بقدر ما يؤدي الغاية منه وهي ضبط الشهوات والسيطرة على الذات". (٦٩)، قال أبو زيد وقد جعل ما يترتب على مسألة الارتحال المخزي عن الدنيا مرتبطاً بما قبلها وقتياً بلازمة حقيقة وجب بيانها، وحقوق: (٧٠)

فَجَاحُ الْهَوَى أَضَحَّتْ مَحَالِكَ بُعْدَهَا فَنَارُكَ بِالْذُّنُوبِ سُمُومٌ فَرُدُّهَا
فَلَا تَنْسَأَنَّ تَرْعَى لِنَفْسِكَ سَعْدَهَا فَلَا تَتَسَاهَلْ فِي الذُّنُوبِ فَبِعْدَهَا
سُؤَالٌ لِأَرْبَابِ الذُّنُوبِ وَمَوْقِفٌ

والى هنا ينتهي البحث في المطلب الأول بأصوله وفروعه، وسنتقل الى المطلب الثاني.

المطلب الثاني: السمات الفنية

لاشك في ان اشتمال البنية الخطابية في شعر الفازازي على السمات الفنية، يأتي بعد أن ادرك الشاعر ضرورة توافرها في إطار الغرض المقصود من قيام البلاغ الأدبي - الشعري بالهادف الى التغيير الذاتي بهذه الطريقة المقننة فنياً كما تبدو من بعض الجوانب، إذ ان المعرفة الفنية بصفة عامة والأدبية بصفة خاصة، والشعرية بكيفية أخص، من المعارف التي تلعب دوراً كبيراً في تقدم الانسان، عن طريق تعميق ادراكه نحو الحياة ووضع الإنسان على الأرض". (٧١)

وسيقوم هذا المبحث بتسليط الضوء على أبرز السمات الأسلوبية لموضوع البحث الحالي، وذلك عن طريق رصد ثلاث دوائر دارت حول:

* الألفاظ والتراكيب.

* التضاد.

* البناء الفني.

أما فيما يخص الألفاظ والتراكيب، فمن البديهي أن نجد كمّاً من الألفاظ التي تعين الناظم في عملية التوصيل الشعري، ولا سيما الألفاظ التي أراد لها أن تكون عنواناً لغرضه وإن كانت مكررة بشكل ملحوظ للعيان، فضلاً عن كونها تصنف ضمن صنف الألفاظ السهلة، ففي المبحث الأول مرت معنا ألفاظ من قبيل: (الهدى، الفوز، التقوى، الذنوب، الجنة،....).

ومن المؤكد ان عملية تكرار الألفاظ التي أراد لها الشاعر هذا الأمر، كانت شكلاً من أشكال سيادة النزعة الخطابية - الوصفية على غرض الوعظ لدى الفازازي، إذ "تبدو الخطابية في تكرار الشاعر لكلمات معينة، فقد يذكر الشاعر الكلمة الواحدة أكثر من مرة في أبياته، وقد يبدأ أبيات عدة في قصيدته بعبارة واحدة، تأتي أول كل بيت، وذلك ليؤكد معنى، وليكرر فكرة واحدة معينة، يلح على إثباتها". (٧٢)

ففي محاولة مألوفة لحصر إهتمام المتلقي بفكرة الهداية والإقبال عليها، كرّر الشاعر ببساطة (هدى) ثلاث مرات على وفق مقتضى سياق التعبير في صدر البيت الآتي، قائلاً: (٧٣)

هُدَاهُ الْهُدَى فاعْمَلْ بِهِ الدَّهْرَ تَهْتَدِي وَلَا تَعْلُ فِي شَيْءٍ وَقَارِبٌ وَسَدِّدِ

ومن أوجه التكرار أيضاً ما يأتي (للدلالة) المقصودة، إذ نلاحظ شيوعاً مألوفاً لألفاظ أفعال الأمر في هذا المجال، من نحو: (توجه، أقبل، اغتنم، اياك، تنبه، أسرع،....) وقد أورد الشاعر ألفاظاً دالة على (الأمر) المطلوب، بأسلوب العطف لأكثر من مرة الذي نجم عن توظيفه قيام تلاحق يسند الدلالة المنصرفة الى الأمر، ليس إلا، من غير أن يترك مدة زمنية كافية للإدراك الذي هو بصدده، وهو بذلك نأى عن أسلوب الإختزال اللفظي المفترض توافره في المنتج الشعري ولغته التي هي لغة قادرة على الكثافة الشعرية حين تتطلب اللحظة النفسية او الموقف منها ذلك" (٧٤)، قال الفازازي: (٧٥)

فيا نائم الجفنين في حال يقظةٍ وكم نائم معنى ولم يغشهُ نومٌ

تفكّر ودّبر واعتبر واخْلُ وادكّر ترى الخلق لا محوٌ لديه ولا رسم

وكثيراً ما نقرأ في هذا السياق من التوعية الألفاظ الحسية الدالة على الحركة المطلوبة للتغيير: (جاهد، خاطر، ارعوي،....)، وقد يفسر هذا الصنيع على انه ملامح من ملامح الدعوة الجادة التي نادى بها شاعرنا كثيراً، التي لم يستثنى منها حتى نفسه: (٧٦)

يامن أخاطبه والحال شاهدة اني لنفسي بهذا القول استبق

والى جانب الألفاظ السهلة التي وردت نماذج منها، كانت القصائد العشرية مسرحاً لبعض الألفاظ الجزلة الغريبة التي تحتاج من المتلقي الرجوع بها إلى المعاجم العربية للوقوف على معانيها وهذا ما جعل الغمراوي يقدم على شرحها قائلاً: "قد صادفتني المقادير بالإطلاع على القصائد العشرية... فوجدتها من غرر القصائد، ومن أكبر الدلائل على ما لمنشئها من البراعة والإقتدار الزائد، لكنه رصّعها بغرائب اللغة العربية. والأساليب العجيبة المجازية فأضحت روض فضل لكن بابه مقفل، ومخزن درر لكن عز من لمدخله يتوصل. فاستخرت الله في أن أجهد نفسي في حل عباراتها وتفسير غريب لغتها". (٧٧)

ومن الجدير بالذكر ان قضية توظيف هذا الأسلوب الفني - النقدي لم يجر على وتيرة واحدة، إذ اختلف الحال في الجزء المنظوم والمطبوع من شعر الفازازي الذي جمعه أحد تلاميذه، والذي قال فيه "أما المنظوم فانه لطيف الإستعارة خفيف العبارة، قد أسست على انطباع الطبع مجانيه وسلمت من التكلف ألقاظه ومعانيه". (٧٨)

ومن أمثلة الألفاظ الغريبة الدالة على صيغة الأمر: (هق = احبس، طب = تعهد، ظف = سق، صق = الزم الملاصقة،....)، ومنها قوله وقد استخدمها في أحد أبياته التوجيهية: (٧٩)

صق الجِسْمَ لِلْعَقْلِ الْجَمِيلِ بِحَلَّةٍ صُنَّ النَّفْسَ عَن قَوْلِ الْقَبِيحِ وَفَعَلِهِ

ولم تكن الفاظ الأمر هي الوحيدة التي كانت أحياناً يشوبها التعقيد اللفظي، بل الفاظ أخرى من نحو بعض أفعال المخاطبة المبنية للمعلوم أو المبنية للمجهول، والصفات، ولا سيما تلك التي كان يبتدأ بها الشاعر أبياته ملتزماً، وتحديداً في مجموع القصائد العشرية التي تبدأ

الخطاب الوعظي في شعر أبي زيد الفازازي (ت ٦٢٧هـ)

م. د. نزار شكور شاكر

عادة بحرف واحد من الحروف الألفبائية، يجب على الناظم أن يكرر في مستهل كل بيت الحرف الذي تقوم القصيدة عليه. قال مخاطبا العاقل/ الإنسان: (٨٠)

خَيْتٌ وَعِنْدَ النَّاسِ لِلخَيْرِ سَابِغٌ خَيْتٌ وَعِنْدَ النَّاسِ أَنْكَ صَابِغٌ
خِشَارٌ وَعِنْدَ النَّاسِ أَنْكَ لَابِغٌ خَسِرْتُ وَعِنْدَ النَّاسِ أَنْكَ رَابِغٌ

وإذا كانت متطلبات الصنعة تجوز قيام هذا الشكل الهندسي، فالتكلف باد في إيراد الشاعر لفظ (الختيت) ومعناه الخسيس، والذي كان من الممكن جداً ان يورده من غير أن ينزلق في التعقيد غير المبرر والمحبذ فنياً، ثم ان الوزن يستقيم به أيضاً، فعلام ياترى هذا الجنوح؟

والى هذا الحد يظهر مما تقدم ان الشاعر كان يجد بعض الأساليب اللغوية مناسبة أكثر من غيرها كي يعبر بواسطتها عن غرضه المشروع على حسب مقتضى التعبير، ولا سيما وان فيها ما يؤدي وظيفة توجيهية بحثة، تتناسب مع طبيعة الأداء المقررة لتلقي بعض الفنون الشعرية على حسب مبدأ التحول الجديد في التصور النقدي- العربي القديم، للعلاقة الماثلة بين المنجز النصي والقاريء" إذ نلاحظ ان ثمة تحولاً في طبيعة التصور النقدي يوميء الى إحكام النظر في النصوص لا من حيث طبيعة الانتاج والصياغة حسب، بل من زاوية التلقي وملاحظة شكل العلاقة بين النص ومثليته" (٨١)، وهذا ما يفصح عن القول انه من غير الممكن على الاطلاق أن يضطلع بهذا النسج اللغوي تركيب واحد فحسب مستقل عن غيره من التراكيب ومنه النداء في ضوء أدواته وصيغته (يا، أيا، يا أيها)، التي تفتح تلقائياً على صيغ لغوية أخرى من نحو الاستفهام، الأمر الذي يؤلف بمجمله أداةً تعبيرية لإحداث التأثير المبتغى لاسيما بعد أن تتكرر الجمل الاستفهامية في قول الفازازي الآتي: (٨٢)

أيا غافلاً والموتُ بالْقُرْبِ يَطْرُقُ أهُمَّكَ مَرَعَى فِي مَرِيكَ يَمْرُقُ
أجْدَكَ لَمْ تَعْمَلْ بِمَا كُنْتَ تَفْرُقُ أجَدْتُ بِكَ الأيَّامُ والنَّفْسُ تَهْرُقُ

ولم يكن أسلوب الأمر والنهي الذي يطالعنا في كثير من النصوص بوصفه أحد أبرز الآليات المسخرة للتبليغ، لما يمتاز به من مباشرة القصد، غائباً عن تلك الأنساق التي نادى بالوعظ من نحو القول: (٨٣)

يا مُعْنِي اللَّيْلِ نوماً والنهار عَمِي مَتَى تَفِيقُ وَلَا سَمْعٌ وَلَا بَصْرُ
أَيَقْظُ فَوَادَكَ مِنْ نَوْمٍ وَمِنْ سَنَةٍ واحذرْ فذو الحَزْمِ مِنْ أوصافِهِ الحذرُ
وَلَا تُضِعْ عُمْرًا فِي غيرِ فائِدَةٍ فَعَنْ قَرِيبٍ لَعْمَرِي يَنْفَقُ العُمْرُ

والملاحظ أن هذا الأسلوب الطلبي أتى في بعض النصوص مؤكداً لآلياً، ومشروطاً، وهذا يعني أن أسلوب الشرط المؤكد كان أحد لوازم صياغة فحوى الخطاب لغوياً، نظراً لما فيه من بينات تفيد تحقيق الدعوة الصادرة شعرياً، ولا سيما إذا كان المفهوم التعبيري معطراً بعقب من الحكمة، كما في قوله: (٨٤)

إِذَا المَرءُ لَمْ يَسْطَعْ مِنَ الضَّرِّ مَنْفَعَةً وَلَاذَ بِهِ مِنْ بَأْسِهِ وَتَعَوَّذَا
أَصَابَ مُجِيرًا مِنْ أذى الدَّهْرِ مَنْفَعَةً يَجُودُ بِلاَ مَنْ يُعْضِي بِلاَ أذى

* التضاد:

يقوم التضاد في الخطاب بطريقتين اثنتين، ففي الأولى يسعى الشاعر الى خلق وازدواج التناقض بين موقفين كي تكون المحصلة التي تخرج بها مدركات العقل بوسائلها التشخيصية، أحد أمرين هما: المطلوب أو المرهوب، على وفق المعنى المراد إخراجه للمخاطب، "فالعقل يدرك صور الأشياء بما يصير اليه من تخيل التوهم، فيكون الشيء المدرك اما مطلوباً، أو مرهوباً عنه" (٨٥)، ومنها قال الفارابي: (٨٦)

جَنَيْتَ عَلَى خِلِّ وَجُرْتَ وَلَمْ تُثِقِلْ عَنِ الإِخْوَانِ مِلْتٌ وَلَمْ تَصِلْ
جَدَمْتَ عُرَى الأَرْحَامِ عَمْدًا وَلَمْ تَمِيلْ جَمَعْتَ وَلَمْ تَبْدُلْ وَنَلْتَ وَلَمْ تُثِيلْ

إذ يقع النص على مفترق طريقين مختلفين: (الوصال والبذل × القطيعة والبخل)، ولا ريب في ان قيمة الفن في هذا التضاد يجب أن تظهر وهي تؤدي وظيفة الإقناع المقصود،

فالتضاد في حالة رهان ونزاع مع الطرف الآخر "لأن الكلمات المتضادة تصر دائماً على اقضاء بعضها البعض" (٨٧)، وربما أفادت وظيفته النصية توسيع الهوية بين الوحدات المتضادة القائمة، كي تبين معالم السبيل الذي نصح الداعية بالأخذ به بعد أن عالجه بطريق أسلوب النفي المتكرر والإثبات.

أما الطريقة الثانية في استخدام التضاد، فهي تسخير الشاعر معنى التضاد لتقديم الدليل العقلي للمتلقى، وذلك في ضوء التوسل إليه بأساليب فنية، منها أسلوب التشبيه البلاغي، الموظف للتوعية العقلية المحفزة والمثيرة، إذ "ان الشعر الذي يترك العقل جانباً، ويترك بحته الدقيق وحوافز الشعور الخلقى يكون أقل إثارة وأقل تنوعاً وأقل إنسانية" (٨٨)، قائلاً: (٨٩)

والعسر يتلوه يسر إن صبرت له ضدان هذا وهذا عندنا عرضُ
والعيشُ كالحُلم أضغاث منوعة وسوف يلحق بالإيقاظ مغتمض

فهنا اختلفت وظيفة التضاد، بعد أن أفادت الإحساس الإنساني الواعي بالتتابع المرحلي بين اليقظة وضدها، على مدار الزمن النوعي الطويل.

وفي نصوص هذا الجانب هنالك ملمح بارز من ملامح التناقض المؤكد، ولاسيما

المقتبس من القرآن المجيد: (٩٠)

تصبر إذا نابتك للخطب شدةً فبعد اشتداد الحوادث لين
ولا تيأسن من فرحة بعد ترحة فقد تخذل الايام ثم تعين
فيعقوب لاقى الكرب في فقد يوسف ثمانين حولاً والحنين قرين

وكانت هذه المسيرة تستعين بالمعنى الحسي كثيراً على تصوير معنى ما تذهب اليه

نصوصها من نحو الصورة الحركية، في قول الفازاري بحق النبي: (٩١)

أطعهُ فَإِنَّ الشَّمْسَ فِي طَوْعِهِ جَرَتْ وَقَدْ أَقْبَلَتْ نَحْوَ الغُرُوبِ فَأُدْبَرَتْ

ومن العرض السابق يتبين ان هاجس التوصيل المباشر للمعنى مثل عائقاً مقصوداً في أن يتمتع أسلوب التضاد بقدر من الغموض في الإيحاء، الذي من شأنه توسيع أفق الدلالة لدى المتلقي "إذ ان الغموض أكثر مظاهر الإيحاء لفتناً للانتباه، بما ينجز عنه من اشتراك وتعدد

للمعاني وانفتاح لدلالات النص" (٩٢)، ولكن ينبغي ألا يرجع الفضل الى الغموض الفني فحسب ضمن هذا الحيز، ولا سيما بعد توافر عنصر الإرتداد العاطفي في المسافة بين النص والقاريء" اذ ان رد الفعل العاطفي من هدفه، بالتحديد، توجيه الانتباه نحو منطقة الدلالة". (٩٣)

* البناء الفني:

جاء المنظوم من الغرض الوعظي مستقلاً طوراً في القصيد والمقطعات، ومع بعض الأغراض أيضاً، إذ نجده قائماً في القصائد الزهدية، كما هو عليه الحال في مجموع (القصائد العشرية) مع تخميسها، وقد مرّ معنا من قبل أكثر من أنموذج لنصوص من هذا المجموع الشعري المكرّس للزهد والوعظ بصورة رئيسة، وكيف أن الأبيات فيه تقوم على وزن البحر الطويل، وتنقسم على أربعة مصاريع / أشطار، ملتزمة قافية واحدة تقوم على وفق روي موحد، ومن أثر تكرار هذه الوحدات البنائية المزدوجة دورياً تنسج القصيدة العشرية على نحو منتظم في كل مرة، ومن هذه الجزئية البنائية قول الفازاري في أحدها نظماً: (٩٤)

نَجَاتِكَ قُرْآنٌ تَسِيرُ بِسَيْرِهِ نَصَوْتُ بِهِ بُؤْسَ الزَّمَانِ بِضَيْرِهِ
نَعَاكَ مَشِيْبٌ فَاسْتَعِدَّ لِخَيْرِهِ نَبَا مَضَجَعُ اللَّذَاتِ فاعْمَلْ لِغَيْرِهِ

أما في القصائد العشرية مع تخميسها في ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم)، فجاءت أبيات الوعظ مع المديح الغرض الرئيس من نظم الديوان، ملتزمة المنهاج والبحر المذكور في طريقة نظم القصائد العشرية، ولكن هذه المرة بتقسيم الأبيات المزدوجة على عشرين جزءاً، ضمن إطار القصيدة الواحدة التي تضم أكثر من غرض أحياناً يتوزع على مقطع أو عدة مقاطع، من غير تكلف إلتزام الحرف الواحد في بداية كل شطر وتكرارهما حتى نهاية القصيدة، كما في المقطع الإستهلالي الآتي من أحد قصائد الديوان:

(٩٥)

أَلَا فَاشْكُرُوا نِعْمَى الْإِلَهِ يَزِدُّكُمْ وَمَهْمَا أَرَدْتُمْ مَا لَدَيْهِ يَرِدُّكُمْ
إِلَى كَمِ أَنْادِيكُمْ وَلَمَّا أَجِدُّكُمْ هَبُّوا لِي أَسْمَاعَ الْقُلُوبِ أَفِدُّكُمْ

ومن الجدير بالذكر أنّ المقاطع الوعظية لم تحتل موقعاً ثابتاً معيناً من القصائد المشار إليها في أعلاه، يعتمد إليها الشاعر حين النظم في كل مرة، بل كانت تأتي على العموم عشوائياً، حتى في بعض القصائد والمقطوعات التي لم تكن ضمن هذين المجموعين الشعريين. ويبدو أن نسبة القصائد المستقلة بالوعظ الخالص والمتفاوتة من ناحية الطول، كانت أقل من سواها، بعد أن كان غرض المديح النبوي وسواه حاضراً في سياق أغلب القصائد المشتملة على الوعظ (سوى في القصائد العشرية)، وهذا ما لا يدعو إلى القلق في مسألة الإقتران والانسجام بين بعض الأغراض الشعرية في القصيدة العربية الواحدة، ولا سيما بعد توافر التوجه النقدي القديم الذي قال بتعلق المواعظ بالمديح من وجهة الإشتراك في المقصد الحسن. (٩٦)

ولم تلتزم حتى القصائد المكرّسة للوعظ حصراً، فضلاً عن تلك التي كانت تلمّ بجوانب منه النظام البنائي - التقليدي للقصيدة، فلا وجود للمقدمات التقليدية التي يبدو أن الاستغناء عنها تم بأحد أمرين لدى شاعرنا:

١- الدخول إلى المضمون على نحو مباشر (وهو الأغلب)، ولا سيما بعد قيام مجموع شعري كامل على أساسه (القصائد العشرية)، فضلاً عن أغلب القصائد العشرية، كما في قوله: (٩٧)

ألا فَاخْشَ سَهْمَ الْمَوْتِ عَنْ كُلِّ مُرْصِدٍ وَخَفَ رَامِياً مِنْهُ مَتَى يَرْمُ يَقْصِدِ

٢- المقدمات الدينية، والتي كان للفازازي موقف من غيرها (٩٨)، والافتتاحيات التي تمثل هذا الجانب تشمل، ما قام منها على التسييح لله، (٩٩)، وجاء بعضها الآخر من أثر الطريقة الكتابية - الخطابية، كما في التحميد الآتي: (١٠٠)

بحمد الله يفتتح الكلامُ ويظفر من يروم بما يرامُ

ومن أولى بذاك الحمد منه وأنعمه مضاعفةً جسامُ

وجاء بعضها الآخر من أثر حادث عرضياً وجبه من نحو الاستسقاء، الذي أفاد تمهيداً حسناً للوعظ بعد أبيات، بعد أن دلّ المطلع على الغرض بقريضة، إذ يشترط في حسن الإبتداء "أن يأتي الناظم أو الناثر في إبتداء كلامه بيينة أو قريضة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده" (١٠١)، كما في قوله: (١٠٢)

نَعْمُ الإله بشكره تقييد فالله يُشكر في النوال ويُحمد
مُدَّتْ إليه أكفُّنا محتاجةً فأنالها من جُوده ما تعهد

وتوافر بعض العناصر الفنية على هذه الساحة البنائية مثل ضرورة لا بدّ منها، من نحو حسن التخلص، ولاسيما في الإنتقال اللازم بين غرض وآخر في القصائد التي جمعت بين أكثر من غرض، ومنه حسن التنقل بين (المديح والوعظ انموذجاً)، وهذا أمر تقليدي لجأ إليه الشاعر قديماً للمحافظة على رصانة البناء الفني في قصائده التي تجمع بين أكثر من مضمون.

الخاتمة

لعل ما تقدم قد أسهم بدءاً بنصيب في بيان أثر المصدر الديني حين الدلالة على الأصول المقتبسة والمدركة بعمق في الخطاب الوعظي، ولا سيما وان هذا التوجّه الكلي بهذه القيم المعرفية صوب منطقة الحدس والتلقي لم يكن أمراً نظرياً فحسب، بل ارتبط كما يبدو بمنحى تطبيقي غلبت عليه النزعة المتشددة تجاه خصوم هذا المنطق المعروض، الذي لا يخرج عن سلك وظيفة العنصر المستمد دينياً، الظاهر جلياً في ضوء التوحد القائم بين الشرائع والتعاليم التي أراد الشاعر أن يبرهن على مصداقيتها في هذا الصعيد العقائدي بالوظيفة الشعرية للرسالة التي كانت تهوى تحشيد الدوال العقلية والنقلية للمتلقي بتناسق، وما يجعل وحدة المرامي قائمة بين عناصر الخطاب أيضاً بروز الاداء الوظيفي للعنصر النفسي الموجّه بأسلوب فني مطابقاً للهدف العام من المحمول الخطابي، ولا سيما في مجال تسليط الضوء على سبل رصد حال النفس الإنسانية وتشخيص الحلول التي تؤدي الى معالجة هذا الأزمة الحقيقية والمتفائمة التي قادت الشعراء أحياناً (في نصوص غير معروضة) الى سلوك منهاج النقد الاجتماعي في مخاطبة أفراد المجتمع، ولا سيما حينما تخير الواعظ الأجواء الزهدية لهذا المغزى، بعد أن رصد فيها -إتباعاً لعادة الوعاظ - بيئة مناسبة لتنمية مراميه وتوثيقها.

وكان الشاعر على يقين ان المضمون التوجيهي بحاجة الى شكل فني يناسبه، يكون نعم المعين على إتمام نمط فاعلية غرضه الشعري بصفته الخطابية، ولذلك ركّز على وجه العموم على الألفاظ السهلة - الحسية، والصياغات اللغوية الواضحة القصد، والدالة على الغرض، من أجل قيام مستوى من الاداء اللغوي يكون - ولو بعد جهد أحياناً - في متناول يد المتلقي، الذي هو في هذا الجانب بحاجة ماسة الى براعة فن التوصيل الصادر من لدن الباث، أكثر من غيره من فنون التعبير غير السطحية.

وكان هذا النمط من الوعي ماثلاً أيضاً في مراعاة توظيف التضاد في ضوء التناقض تارة والتآلف تارة أخرى، لغاية واحدة تتأكد من طريقتين إثنتين، وهذا يعني أن توافر أكثر من علامة شاخصه تدل على القصد نفسه مؤشراً على توافر نزعة إبلاغية ملحّة لدى الشاعر، تسعى الى درأ الرتابة والملل لدى المخاطب بفنية وجمالية تذكر، عن طريق إظهار الغرض الوعظي في نطاق قصائد ومقطعات كانت تأتي أحياناً متخصصة بالغرض، وأحياناً تضم غرضاً آخر الى جانب

الوعظ من غير التزام موقع ثابت من القصيدة، التي كان بعضها يستهل بافتتاحيات غير تقليدية، أو أن يأتي من دونها، هذا على مستوى المتغيرات البنائية لبعض القصائد، أما على مستوى الثوابت الجمالية فقد برز التوافق الذي نادى به النقد القديم بين الأغراض الشعرية في القصيدة الواحدة، وتفهم أثر فن حسن الإبتداء في التمهيد للغرض، فضلاً عن إجادة حسن التخلص في الإنتقال بين الأغراض وتقبُّلها.

وهكذا فبالوسع ان نخلص بالقول الى ان المغزى من وراء الخطاب الوعظي في شعر الفازازي كان قيام دالة نصية تهدف الى بث القيم التي تسمو بالإنسان ككل، والسعي الحثيث الى الوصول به إليها، بعد أن كان الإحساس الشعري العميق بها، الصادر عن منجز موسوم بالفنية عاملاً رئيساً في نقلها الى الحيز الإنساني الذي كُتِبَ له أن يُنْتَفَعَ به.

الهوامش والإحالات

* الشوق في ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي زيد الفازازي الأندلسي (ت ٦٢٧هـ) مع تخميسه لأبي بكر محمد بن مهيب المغربي (ت ٦٤٥هـ) - دراسة تحليلية، بحث مقدمالي مجلة جامعة كركوك-العلوم الإنسانية (غير منشور) بتاريخ ٢٠-٢٠١٣.

(١) برنامج شيوخ الرعيني، أبو الحسن الرعيني الإشبيلي (ت ٦٦٦ هـ)، تحقيق: إبراهيم شيوخ مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٢، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) نيل الإبتهاج بتطريز الديقاج، أحمد بابا التنبكتي (ت ٩٦٣ هـ)، ج ١ - ٢، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط ١ ١٩٨٩، ص ٢٤٠.

(٣) برنامج الرعيني، ص ١٠٢.

(٤) نيل الإبتهاج، ص ٢٤٠.

الخطاب الوعظي في شعر أبي زيد الفازازي (ت ٦٢٧هـ)

م. د. نزار شكور شاكر

(٥) أعلام مالقة، تأليف: أبي عبد الله بن عسكر (ت ٦٣٦هـ)، وأبي بكر بن خميس (النصف الأول من القرن السابع)، تقديم وتخريج وتعليق: د. عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (باشتراك)، ط ١، ١٩٩٩، ص ٢٦١.

(٦) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ٨، العباس بن إبراهيم السمالي، راجعه: عبد الوهاب ابن منصور، مط الملكية، الرباط، ط ٢، ١٩٩٣، ص ٨٨، وآثار أبي زيد الفازازي الأندلسي - نصوص أدبية من القرن الهجري السابع جمعها بعضتلاميذه في حياته، تقديم وتحقيق، عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار قتيبة، بيروت - دمشق ط ١، ١٩٩١، ص ١٦٨.

(٧) نيل الإبتهاج، ص ٢٤٠.

(٨) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج ٥، المقري (ت ١٠٤١ هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت ط ١، ١٩٩٨، ص ٣٥٥.

(٩) برنامج الرعيني، ص ١٠٢.

(١٠) ينظر لطفاً: برنامج الرعيني، ص ١٠٢، نيل الإبتهاج، ص ٢٤٠، ومجموع القصائد العشرية، أبو زيد الفازازي الأندلسي، شرح وتفسير الشيخ محمد الزهري الغمراوي، المكتبة الشعبية، بيروت. (د. ت)، و معجم أعلام شعراء المديح النبوي، م ١، محمد أحمد درنيقة، تقديم ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، ط ١، (د. ت)، ص ٢٢٢. (انترنيت، تقييم الكتاب موافق للمطبوع).

(١١) التشوف الى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي، ابن الزيات (ت ٦٤٧هـ)، تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط ٢، ١٩٩٧، ص ٤٤٠.

(١٢) غرباء القسم الثاني من صلة الصلة، ابن الزبير (ت ٧٠٨هـ)، (منشور في آخر كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ)، السفر الثامن، القسم الثاني، تح د. محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، (د. ت)، ص ٢٦٦.

(٢٠١٣)

- (١٣) آثار أبي زيد الفازازي، ص ١٢ .
- (١٤) غرباء القسم الثاني من كتاب صلة الصلاة، ص ٦٦٧ .
- (١٥) برنامج الرعييني، ص ١٠٣ .
- (١٦) آثار أبي زيد، ص ١٨ . وجاء في ترجمته: "يوسف بن محمد المكلاطي الفاسي... له مقالات ومصنفات وجيزة ومتوسطة وأجوبة عن مسائل كان يسأل عنها في علم الكلام وأصول الفقه. ومنها: (لباب المعقول، في علم الاصول)... توفي بمراكش عام ست وعشرين وستمائة". الذيل والتكملة، س٨، ق٢، ص ٤٣٢ - ٤٣٤ .
- (١٧) الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، د. عز الدين إسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٣، ١٩٨٦، ص ١٨٠ - ١٨١ .
- (١٨) آثار أبي زيد، ص ٥٧ .
- (١٩) القصائد العشرية، ص ٨٤-٨٥ .
- (٢٠) ينظر: م. ن، ص ١٠٣، ١٢٣ .
- (٢١) ينظر: نفح الطيب، ج ٩، ص ٣٢٢، وآثار أبي زيد، ص ١٥٤ .
- (٢٢) القيم الخلقية في شعر الزهد في الأندلس، د. عبد الرحيم حمدان حمدان، مقالة، ديوان العرب منبر حر للثقافة والفكر والأدب، ٢٠٠٨ (انترنت).
- (٢٣) المقدمة، ص ٥١٤ .
- (٢٤) ينظر: نفح الطيب، ج ٩، ص ٣٢٤، وآثار أبي زيد الفازازي، ص ١٦٠ .
- (٢٥) نفح الطيب، ج ٩، ص ٣٢١، وآثار أبي زيد الفازازي، ص ١٦٢ .
- (٢٦) آثار أبي زيد الفازازي، ص ٧١ .
- (٢٧) نفح الطيب، ج ٩، ص ٣٢٤، وآثار أبي زيد الفازازي، ص ١٦١ .
- (٢٨) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٥٥ .

- (٢٩) ينظر: نفع الطيب، ج ٩، ص ٣٢٣، وآثار أبي زيد، ص ١٦١.
- (٣٠) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ١٢٤. وفيه ورد: (لمهداة)، وهو على الأرجح خطأ طباعي، والتصويب الذي أوردناه هو من كتاب: النوافح العطرية المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية (صلى الله عليه وسلم)، محمد بن غبريم الداغري شركة القدس، القاهرة، (طبعة جديدة معتنى بتنقيحها وتصحيحها)، ٢٠٠٧، ص ٣٢٨.
- (٣١) نفع الطيب، ج ٩، ص ٣٢٢، وبرنامج الرعيني، ص ٦٣، وآثار أبي زيد، ص ١٦٤.
- (٣٢) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ١٢٥.
- (٣٣) م. ن، ص ١٣٧.
- (٣٤) ينظر: نفسه، ص ١٠١.
- (٣٥) نفسه، ص ١٤٤.
- (٣٦) ينظر: نفسه، ص ٦٥.
- (٣٧) نفسه، ص ١٠٤.
- (٣٨) نفسه، ص ٥٧.
- (٣٩) نفسه، ص ٦٢. وفيه: "الأجلاف جمع جلف وهو الجاهل الأحمق، والآل العهد، وباؤا بمعنى رجعوا". وفي نسخة: الأخلاف بالفاء المعجمة جمع خلف: هو من لاخيرفيه"النوافح العطرية، ص ١٦١.
- (٤٠) ينظر: ديوان الوسائل، ص ٣٢.
- (٤١) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، م ٣، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة، ط ١، ١٩٧٥، ص ٥٢١، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام، ج ٨، ص ٨٦، نفع الطيب، ج ٩، ص ٣٢٢-٣٢٣، وآثار أبي زيد الفازازي، ص ١٥٥ ص ١٦٠، وديوان الوسائل المتقبلة، ص ٧٥.

- (٤٢) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، (روجعت هذه الطبعة وقوبلت على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء)، دار الفكر، (د.ت)، ص ٤٥٨.
- (٤٣) ينظر: آثار أبي زيد، ص ٦٢-٦٣.
- (٤٤) م. ن، ص ٦٣.
- (٤٥) ينظر: ديوان الوسائل المتقبلة، الصفحات: ٩، ٢٢، وتحفة القادم، ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ)، أعاد بناءه وعلق عليه: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٦، ص ١٩١-١٩٢، والمقتضب من كتاب تحفة القادم، إختيار وتقييد: أبي اسحاق البلفيقي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني (باشتراك)، ط ٢، ١٩٨٣، ص ١٨٥-١٨٦.
- (٤٦) ينظر في فضائل شهر شعبان: غالبية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ، ج ٢، خير الدين أبو البركات نعمان أفندي آلوسي زاده، دار الطباعة المحمدية، مصر، ١٩٥٥، ص ١٥٨ (أنموذجاً).
- (٤٧) آثار أبي زيد، ص ٦٤.
- (٤٨) م. ن، ص ٦٦-٦٧. وندب ندبا فلاناً للأمر والى الأمر: دعاه ورشحه للقيام به وحثه عليه، واستطر: كتب، والمستطر: المكتوب. يقال: هذا مستطر"المنجد في اللغة، لويس معلوف، ط ٣٥، انتشارات فرحان، تهران، ١٣٨٣، مادة: (ندب) و (سطر).
- (٤٩) آثار أبي زيد، ص ٥٨.
- (٥٠) ينظر: م. ن، ص ٥٨-٦١.
- (٥١) نفسه، ص ٦١. وفيه "آل: راجع".
- (٥٢) الصوت الآخر الجوهر الحواري للخطاب الأدبي، فاضل ثامر، ط ٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢، ص ٢٠٥.

الخطاب الوعظي في شعر أبي زيد الفازازي (ت ٦٢٧هـ)

م. د. نزار شكور شاكر

- (٥٣) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج ١-٢، د. زكي مبارك، المكتبة العصرية بيروت، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٣٣٦.
- (٥٤) ينظر: القصائد العشرية، ص ٢٩.
- (٥٥) م. ن، ص ١٥١. وفيه "يسار الفتى أي غناه، وآلب: راجع".
- (٥٦) ينظر: نفسه، ص ١٣٨.
- (٥٧) ينظر: نفسه، ص ١٥٥.
- (٥٨) نفسه، ص ١٥٤. وفيه "اليلامع جمع يلمع: وهو البرق الخلب والسراب، والقاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال، ويسارتها: هو الغنى، والغر: الأحمق".
- (٥٩) ينظر: آثار أبي زيد الفازازي، ص ٥٢، والقصائد العشرية، ص ١٣٠، ١٣٢، ١٣٥.
- (٦٠) القصائد العشرية، ص ١٢٦. وفيه "بموت يسلمهم: أي يسلبهم من دارهم ويخرجهم".
- (٦١) آثار أبي زيد الفازازي، ص ١٦٣.
- (٦٢) أدب الدين والدنيا، أبو الحسن الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تح: مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٤، ١٩٧٨، ص ٢٢٦.
- (٦٣) وعظ السلاطين، د. علي الوردي، دار كوفان للنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥، ص ٩١.
- (٦٤) م. ن، ص ٥٥.
- (٦٥) ينظر: القصائد العشرية، ص ٦٦.
- (٦٦) م. ن، ص ١٤٥. وجاء "واحسانها للخلق طرا أي جميعا".
- (٦٧) نفسه، ص ١٣٤. وفيه "في سحواتها: أي خطواتها، لهواتها: جمع لهو، مهواتها: جمع مهواة وهي الحفرة".
- (٦٨) ينظر: ديوان الوسائل المتقبلة، ص ١١٣، والقصائد العشرية، ص ٩٢-٩٣.
- (٦٩) الأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ٢، ١٩٧٦، ص ١٨٣.

(٢٠١٣)

- (٧٠) القصائد العشرية، ص ١١٩.
- (٧١) النص الشعري بين الرؤية البيانية والرؤيا الإشارية - دراسة نظرية وتطبيقية، د. أحمد الطريسي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ، ص ١٢١.
- (٧٢) زهد المجان في العصر العباسي، د. علي إبراهيم أبو زيد، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٣٥٣.
- (٧٣) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٤٨. "ولا تغل لا تتجاوز أمره ونهيه في شيء". وفي النوافح بزيادة "لا تغل تتجاوز شريعته وأمره ونهيه". ص ١٢٠.
- (٧٤) استنطاق النص، د. رشيد العناني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦، ص ١٩٦.
- (٧٥) آثار أبي زيد، ص ٦٤.
- (٧٦) م. ن، ص ٧٠.
- (٧٧) مقدمة القصائد العشرية، ص ٢.
- (٧٨) آثار أبي زيد، ص ٣٤ - ٣٥.
- (٧٩) القصائد العشرية، ص ٩٢.
- (٨٠) م. ن، ص ٣٠. وفيه "سابع: ناهض، صابح من صبح بمعنى لمع وأضاء، خشار: أي جبان، لايح: شجاع".
- (٨١) نظرية التلقي، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩٩، ص ٤٨.
- (٨٢) القصائد العشرية، ص ٣. "وتهراً بمعنى تتكلم بالفحش".
- (٨٣) آثار أبي زيد، ص ٦٦.
- (٨٤) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ١٤٨ - ١٤٩.

الخطاب الوعظي في شعر أبي زيد الفازاري (ت ٦٢٧هـ)

م. د. نزار شكور شاكر

(٨٥) كتاب النفس، أرسطو، تح: موفق فوزي الجبر، دار الينابيع، دمشق، ط٣، ٢٠٠٧، ص١٢٢.

(٨٦) القصائد العشرية، ص١٩. "وجذمت: قطعت".

(٨٧) علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال (باشتراك)، المغرب، ط١، ١٩٩١، ص٢٥.

(٨٨) الصورة الشعرية، سي - دي لويس، ترجمة: د. أحمد نصيف الجنابي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢، ص١٥٦.

(٨٩) آثار أبي زيد، ص٧٢.

(٩٠) م. ن، ص٧٣. وينظر: سورة يوسف.

(٩١) ديوان الوسائل المتقبلة، ص٤٧.

(٩٢) الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، د. مسعود بو دوخة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠٠١، ص٦٣.

(٩٣) في أصول الخطاب النقدي الجديد، ترفتان تودوروف وآخرون، ترجمة وتقديم: أحمد المدني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧، ص٩٣.

(٩٤) القصائد العشرية، ص٨٥. "ونضوت أي كشفت إن فعلت ذلك".

(٩٥) ديوان الوسائل المتقبلة، ص١٣٢.

(٩٦) ينظر: مفهوم الغرض، مقوم جمالي لدراسة القصيدة التقليدية، فاطمة الميموني، (مقالة / انترنيت).

(٩٧) ديوان الوسائل المتقبلة، ص٩٣.

(٩٨) ينظر: م. ن، ص٧٧، ١٣٧.

(٩٩) ينظر، آثار أبي زيد، ص٩١.

(١٠٠) م. ن، ص٩٢.

- (١٠١) حسن التوسّل الى صناعة الترسّل، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٥٧٢٥هـ)، تحقيق ودراسة: أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٥٠ - ٢٥١.
- (١٠٢) الإحاطة، م٣، ص ٥١٩، والاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام، م٨، ص ٨٥، وفيه إختلاف يسير في الرواية، ونفح الطيب، ج٥، ص ٦٣، وآثار أبي زيد، ص ١٥٨.

المصادر والمراجع

- آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي - نصوص أدبية من القرن الهجري السابع جمعها بعض تلاميذه في حياته، تقديم وتحقيق، عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار قتيبة، بيروت - دمشق ط١، ١٩٩١.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، م٣، تح: محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي القاهرة، ط١، ١٩٧٥.
- الأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٢، ١٩٧٦.
- أدب الدين والدنيا، أبو الحسن الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تح: مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٩٧٨.
- استنطاق النص، د. رشيد العناني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦.
- الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، د. عز الدين إسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٣، ١٩٨٦.
- الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، د. مسعود بو دوخة، عالم الكتب الحديث، الأردن ط١، ٢٠٠١.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج٨، العباس بن إبراهيم السمالي، راجعه: عبد الوهاب ابن منصور، مط الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٣.

الخطاب الوعظي في شعر أبي زيد الفازازي (ت ٦٢٧هـ)

م. د. نزار شكور شاكر

- أعلام مالقة، تأليف: أبي عبد الله بن عسكر (ت ٦٣٦هـ)، وأبي بكر بن خميس (النصف الأول من القرن السابع)، تقديم وتخريج وتعليق: د. عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (باشتراك)، ط ١، ١٩٩٩.
- برنامج شيوخ الرعيني، أبو الحسن الرعيني الإشبيلي (ت ٦٦٦ هـ)، تحقيق: إبراهيم شبوح مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٢.
- تحفة القادم، ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ)، أعاد بناءه وعلق عليه: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٦.
- النشوف الى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي، ابن الزيات (ت ٦٤٧هـ)، تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط ٢، ١٩٩٧.
- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج ١-٢، د. زكي مبارك، المكتبة العصرية بيروت، ط ١، ٢٠٠٦.
- حسن التوسل الى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ)، تحقيق ودراسة، أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.
- ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، لأبي زيد الفازازي الأندلسي وتخميسه لأبي بكر محمد بن المهيب، مط المنار، تونس، ١٣٧٨.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ)، السفر الثامن، القسم الثاني، تح: د. محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (د. ت)
- زهد المجان في العصر العباسي، د. علي إبراهيم أبو زيد، دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٨٦.
- الصوت الآخر الجوهر الحوارى للخطاب الأدبي، فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط ٢، ١٩٩٢.

- الصورة الشعرية، سي - دي لويس، ترجمة: د. أحمد نصيف الجنابي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢.
- علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال (باشتراك)، المغرب، ط ١، ١٩٩١.
- غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ، ج ٢، خير الدين أبو البركات نعمان أفندي آلوسي زاده، دار الطباعة المحمدية، مصر، ١٩٥٥.
- غرباء القسم الثاني من صلة الصلة، ابن الزبير (ت ٧٠٨هـ)، (منشور في آخر كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ)، السفر الثامن القسم الثاني، تح د. محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، (د. ت).
- في أصول الخطاب النقدي الجديد، ترفتان تودوروف وآخرون، ترجمة وتقديم: أحمد المديني دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٨٧.
- القصائد العشرية، أبو زيد الفازازي الأندلسي، شرح وتفسير الشيخ محمد الزهري الغمراوي المكتبة الشعبية، بيروت. (د. ت).
- القيم الخلقية في شعر الزهد في الأندلس، د. عبد الرحيم حمدان حمدان، مقالة، ديوان العرب منبر حر للثقافة والفكر والأدب، ٢٠٠٨ (انترنت)
- كتاب النفس، أرسطو، تح: موفق فوزي الجبر، دار الينابيع، دمشق، ط ٣، ٢٠٠٧.
- معجم أعلام شعراء المديح النبوي، م ١، محمد أحمد درنيقة، تقديم ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، ط ١، (د. ت)، (انترنت، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع).
- مفهوم الغرض، مقوم جمالي لدراسة القصيدة التقليدية، فاطمة الميموني، (مقالة / انترنت)
- المقتضب من كتاب تحفة القادم، إختيار وتقييد: أبي اسحاق البليقي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني (باشتراك)، ط ٢، ١٩٨٣.

الخطاب الوعظي في شعر أبي زيد الفازاري (ت ٦٢٧هـ)

م. د. نزار شكور شاكر

- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، روجعت هذه الطبعة وقوبلت على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، دار الفكر، (د.ت).
- المنجد في اللغة، لويس معلوف، ط ٣٥، انتشارات فرحان، تهران، ١٣٨٣.
- النص الشعري بين الرؤية البيانية والرؤيا الإشارية - دراسة نظرية وتطبيقية، د. أحمد الطريسي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج ٥ - ٩المقري (ت ١٠٤١ هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت ط ١٩٩٨.
- النوافح العطرية المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية (صلى الله عليه وسلم)، محمد بن غبريم الداغري، شركة القدس، القاهرة، (طبعة جديدة معتنى بتنقيحها وتصحيحها)، ٢٠٠٧.
- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي (ت ٩٦٣ هـ)، ج ١ - ٢، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط ١، ١٩٨٩.

ABSTRACT

The current study aims to answer these questions: whether the tendency of Abi-Zaid Al fazazi 's preaching discourse was only an end embodied in the availability of the poem's form only, or it was a means to create the human's conscious without concerning with the feature of the art form? Or whether it was a general experience aspired to benefit from the united relationship between ends and means together and this will be done by working on informing the term of discourse as a poem? In our perspective, these questions which need evident answers are formed a problem for the current study, hopefully what may help us in this field is to support the poem's texts contained in this it and this will be strained with a (descriptive-analytic) study that arranged methodically contains: exposition commentary, argumentation–whenever needed- for all the contents upon which the poetic discourse is built, besides the artistic form. In conclusion, we can say that the purpose behind the preaching discourse of Al-Fazazi was to create a textual poem aiming at spreading the values that sublimate humanity as a whole, and endeavored in order to reach it when the profound poetic sense emitting from an artistic work became a key factor in conveying it into a humanistic expanse that is doomed it as beneficial.